الكلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الماجستير

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المشرق الاسلامي في العصر العباسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of the Islamic East in the Abbasid Era

اسم المحاضرة السادسة باللغة العربية: دور الطاهريون في المشرق الاسلامي وعلاقتهم بالخلافة العباسية

اسم المحاضرة السادسة باللغة الإنكليزية : The role of the Tahirids in the Islamic East and their relationship to the Abbasid Caliphate

الطاهريون وعلاقتهم بالخلافة:

قدم الطاهريون خدمات جليلة للخلافة العباسية في شتى الميادين العسكرية منها والمدنية، فبادلتهم الخلافة ذلك وأسندت إليهم مناصب هامة فقاموا بواجبهم على ما يرام .

أسند الخليفة المأمون مهمة مواصلة القضاء على ثورة نصر بن شبت العقيلي، إلى عبد الله بن طاهر كما سبق وأن اشرنا، وقد نجح عبد الله في تحقيق انتصارات طيبة في هذه الجبهة وقد أثلجت هذه الانتصارات صدر والده الذي أرسل إليه رسالة يحثه فيها على مواصلة العمل لخدمة الخلافة ونشر العدل وإقامة الدين وجاء فيها ((... فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ... فإن الله قد أحسن إليك واوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عبادك ، والقيام بحقه وحدوده فيهم والذب عنهم ... والحق لدمائهم والأمن لسبيلهم وإدخال الراحة عليهم ... وليكن أول ما تلزم لنفسك المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس ... ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تثمر ، وإذا كانت في صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤونة عنهم نمت وجاء فيها أيضاً :((ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره ... وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ... وإذا عاهدت عهداً ففي به)). لله در طاهر بن الحسين فقد جاءت رسالته جامعه مانعه وهي في الحقيقة غنية عن التعليق ويكفي رأي الخليفة المأمون في هذه الرسالة إذ علق عليها قائلاً :((ما بقي أبو الطيب يعني طاهر بن الحسين ـ شيئاً من أمور الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به))

واصل عبد الله بن طاهر محاولاته للقضاء على ثورة نصر التي أقضت مضاجع الخلافة وأرهقتها وهزت مكانتها لهذا لم تتردد الخلافة في إرسال المدد تلو الآخر إلا أن نصر كان يواجهها بقوة وجسارة، ومن الأمور التي كانت تؤرق الخلافة في هذه الأحداث هو خوفها من انضمام القبائل العربية في بلاد الشام إلى ثورة نصر فيزداد وتتسع هوة الخلاف لتصبح دائرة الصراع تتخذ طابعاً إقليميا ما بين العراق والشام. وبسبب مواصلة القتال شعر نصر بضعف موقفه وأنه لا يستطيع أن يواصل فطلب الأمان له ولمن معه، ويبدو أن الخلافة هي الأخرى كانت قد تعبت وأرهقت فوافقت على إعطائه الأمان ، وجاء في رسالة وصلت إلى نصر بن شبت((فإن كنت للدين تسعى بما تصنع فأوضح ذلك لأمير المؤمنين .. وإن كنت للدنيا تقصد فاعلم أمير المؤمنين غايتك فيها ... فإن استحققتها وأمكنه ذلك فعله بك)) وهكذا أجهض الطاهريون ثورة أخافت الخلافة كذلك أسند الخليفة المأمون إلى عبد الله بن طاهر مهمة القضاء على الثورة التي تفجرت في مصر عام 211هـ / 826م توجه عبد الله على رأس قواته إلى مصر، وعندما وصل إلى هناك كتب إلى عبد الله بن السري رسالة يطلب فيها إنها التمرد، ولكن أبن السري لم يستجيب لطلب المأمون وإنما حاول أن يقدم له رشوة عله يكسبه إلى جانبه وكانت مكونة من ألف وصيف ووصيفة ومع كل واحد منهم ألف دينار وسيرهم ليلاً فردهم أبن طاهر وكتب إليه((لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون، أرجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)). ضرب عبد الله بن طاهر حصاراً شديداً على مدينة الفسطاط وقد تحسن موقفه عندما وصلت إمدادات من بغداد بالإضافة إلى انضمام علي بن عبد العزيز الجروي الذي كان منافساً لأبن السري في مصر وعندما طال الحصار وشعر ابن السري ورجاله بالضيق والقلق طلبوا الأمان لأنفسهم فأمنهم عبد الله بن طاهر .

كان من الطبيعي أن تكسب هذه الانتصارات عبد الله بن طاهر مكانة عالية في بلاط المأمون ، وقد كان هذا مدعاة لتدخل بعض والوشاة الذين حاولوا تحريض الخليفة ضد عبد الله بن طاهر وأوعزوا إليه بضرورة اختبار مدى إخلاصه وولائه للدولة ، ورغم ثقة المأمون في قائده إلا أنه أراد أن يقطع الشك باليقين ، فأرسل إلى مصر جماعة لا يشك عبد الله بن طاهر في نواياهم ولمحوا له إمكانية الانفصال عن الخلافة وأنه لديه الإمكانات التي تمكنه من ذلك إلا أن أبن طاهر رد عليهم بصوت عال أنه يرفض هذا الأمر وأنه لن يخون اليد التي أنعمت عليه وطلب منهم عدم تكرار هذا الحديث أمامه.

علم المأمون بحقيقة هذا الأمر فزاد تقديره وإعجابه بهذا القائد وأظهر بذلك عب رسالة كتبها وزير المأمون إلى عبد الله جاء فيها :((فإنا ومن قبلنا نتذكر سيرتك، حربك وسلمك ونكثر التعجب لما وفقت له من الشدة والليان ومواضعهما، ولا نعلم سائس جند ولا رعية عدل بينهم عدلك ولا عفا بعد المقدرة عمن أسفه ولكي يدلل على هذه الثقة بصفة عملية أسند الخليفة ولاية مصر إلى عبد الله ولاية عامة (أي له الصلاة والخراج) وبعد أن أطمأن عبد الله إلى عودة الهدوء والطمأنينة إلى مصر أستأذن الخليفة في العودة إلى بغداد، فأن له وكان في استقباله كبار رجال الأسرة العباسية وأعيان الدولة وعلى رأسهم العباس بن المأمون وأخوه المعتصم هذا ومن الجدير بالذكر أن الطاهريون تبوأوا المناصب العالية فهاهم يتولون شرطة بغداد، حيث كان صاحب الشرطة ينوب عن الخليفة في حالة غيابه عن بغداد فاسحق بن إبراهيم الطاهري ناب عن المأمون في بغداد عندما خرج الأخير لحرب الروم، وعند غياب الخليفة لا تقتصر مهام صاحب الشرطة على النظر في المظالم ، وإنما يصبح مفوضاً من قبل الخليفة في مراقبة شئون الدولة، فقد قام اسحق وبأمر من الخليفة المأمون بامتحان العلماء والقضاة ومعاقبة من لم يقر منهم بالقول بخلق القران وهذا وقد زاد نفوذ الأسرة الطاهرية قوة في عهد الخليفة المعتصم الذي أقام في سامراء تاركاً بغداد للطاهريين

كنواب عنه وهنا يصبح الأمير الطاهري بمثابة الحاكم العسكري العام لبغداد نيابة عن الخليفة ورغم ذلك فأن بعض المصادر تحاول أن تلقي ظلالها من الشك حول علاقة الأسرة الطاهرية بالخلافة العباسية أثناء حكم المعتصم قبل خلافته، إذ رغم المعتصم مقابلة أخيه المأمون لكن عبد الله بن طاهر الذي كان يلي الحجابة حاول منعه ووقعت بسبب ذلك مشادة بين الطرفين إلا أن الخليفة قد علم بما حدث وأصلح بينهما، ويبدو أن العلاقة ظلت بين الطرفين طيبة مبنية على التعاون والتعاضد فلا عجب إذن أن يعتبر الطاهريون أنفسهم حراساً للمملكة وهذا يظهر من خلال دورهم في الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين المستعين والمعتز، إذ توقفت الحرب بفضل تدخلهم ونجاحهم في إقناع الخليفة المستعين، أن يتخلى عن الملك لأخيه لأنهم أي الطاهريون ومن يقف إلى جانبهم أدركوا بأن الأمور تسير في غير صالحهم وأن كفة الأتراك المساندين للمعتز أكثر رجحاناً . يضاف إلى ذلك ان الطاهريين ساعدوا الخلافة في القضاء على العلويين وثوراتهم، ففي عام 250هـ / 864م ظهر يحيى بن عمر في الكوفة ووجد من يناصره هناك فقام محمد بن عبد الله بإرسال النجدة إلى وأليه على الكوفة حتى تمكن من هزيمة يحيى بن عمر ومقتله، وحملت رأسه إلى الخليفة في بغداد، وفي عام 253هـ / 867م توفي محمد بن عبد الله بن طاهر، فألت الإمارة إلى أخيه عبيد الله ويذكر أن الخليفة المعتز حزن حزناً شديداً على وفاة محمد بن عبد الله، وعلى حد قول الخليفة أن الأتراك كانوا يخشون بأس الأمير الطاهري ويحرصون على أرضاه الخليفة خوفاً من نزوحه إلى كنف الطاهريين في بغداد.

إلا أن هذه الهيبة وذلك النفوذ اخذ في الافول والضعف عندما ظهرت الأسرة الصفارية وقضت على نفوذ الطاهريين في المشرق كما أن نفوذهم في بغداد أخذ هو الآخر في الضعف والانهيار سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

دور الطاهريين في أحداث المشرق الإسلامي

ظهرت في المشرق الإسلامي مجموعة من الحركات الاستقلالية هددت سيادة الخلافة وهيبتها في تلك المناطق، مما دفع بالخلافة وأبناء الأسرة الطاهرية أن يقفوا ضد هذه الحركات بالمرصاد والمطاردة وقد اعتمت الخلافة على الطاهريين في تلك المناطق اعتماداً يكاد يكون كلياً. وكانت أكثر هذه الحركات خطورة تلك التي قادها بابك الخرمي في منطقة أذربيجان عام 201هـ وانتشرت آراءه في المناطق المجاورة لها ومما زاد في خطورة هذه الحركة تلقيها المساعدات من العدو البيزنطي الذي كان يعادي الخلافة، وفي أول الأمر أسند الخليفة المأمون محاربة بابك إلى محمد بن حميد الطائي واستعرت بين الطرفين ست حروب طاحنة قتل خلالها محمد بن حميد فحزن عليه الخليفة المأمون وتعاظم أمر بابك وهنا اسند الخليفة قيادة القوات إلى عبد الله بن طاهر الذي أخذ بدوره يستعد للمواجهة، وسار على رأس قواته صوب أذربيجان حيث كان يمتع بابك .

وقعت بين الطرفين صدمات متعددة اجبر على أثرها بابك على التقهقر إلى جبال أذربيجان وفي هذا الإثناء أضطر عبد الله بن طاهر غلى العودة الى خراسان بعد أن استأذن الخليفة المأمون قال له بسبب فتنة أثارها الخوارج في نيسابور وقتلهم للناس وسلبهم أموالهم، أخذ عبد الله في مطاردة الخوارج حتى قضى على فتنتهم في خراسان وكان من ضمن العوامل التي شجعت على عودة عبد الله إلى خراسان هو محاولة منع تسرب آراء وأفكار بابك إلى خراسان، وحتى لا يفكر أحد في الانضمام إليه في تلك المنطقة وقد نجح عبد الله في القضاء على مجمل الفتن والأحداث التي أربكت الأوضاع في خراسان، وقام بعزل نائبه على نيسابور لجشعه وسوء تصرفه .

وبعد وفاة الخليفة المأمون وولاية المعتصم أسند هذا مهمة القضاء على ثورة بابك إلى أحد أبناء الطاهريين وقد نجح هذا في هزيمة بابك هزيمة ساحقة حتى أطبق صيت هذا الأمير الآفاق نتيجة انتصاراته ومع ذلك فلم يتمكن من القضاء على ثورة بابك بشكل نهائي. لكن هذه الهزائم

التي مني بها بابك كانت المقدمة الطبيعة للقضاء على ثورته على يد أحد القادة الأتراك وهو الافشين.

وهناك ثورة أخرى تفجرت في طبرستان على يد المازيار بن قارن وتذكر بعض المصادر أن المازيار قد أرتد عن الإسلام إلى المزدكية وحمر اللباس هذا ومن المعروف أن خراج طبرستان كان يدفع إلى الدولة الطاهرية في خراسان ومع ذلك كان المازيار يرفض إرسال الأموال إلى عبد الله والسبب في ذلك منافرة بين عبد الله والمازيار وكان الخليفة يرسل من يستلم الخراج من أصحاب المازيار بهمذان ويسلمه إلى وكيل عبد الله بن طاهر يرده إلى خراسان وكان هذا التصرف منعاً لتطور الموقف بين الطرفين .

لم يطل أمد الاستقرار بينهما إذ امتنع المازيار عن دفع الأموال للطاهريين وتمادى أكثر من ذلك فطلب من الطاهريين أن يعيدوا الأموال التي دفعت لهم وأن يقوموا بدورهم بدفع الخراج له. وكان هذا الموقف الجديد بمثابة تمرد يعلنه المازيار ليس ضد الطاهريين فقط ولكن أيضاً ضد الخلافة العباسية التي تقف وراء الطاهريين وتدعمهم.

وعلمت الخلافة هذا التطور فكتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر يعبر له عن ثقته ويطلب منه تأديب المازيار والقضاء على تمرده فأخذة عبد الله يعد العدة وأرسل جيش بقيادة أحد أعمامه وجيشاً آخر بقيادة حيان بن جبلة ، وطلب عبد الله من أقاربه في بغداد وبالتنسيق مع الخلافة أن يرسلوا جيشاً ثالثاً توجه الجميع إلى حيث يتمركز المازيار الذي حوصر وهزم هزيمة مروعة وألقى عليه القبض في عام 227هـ ويذكر أن المازيار أعترف لعبد الله بن طاهر أنه كان ينفذ مخططاً خطيراً اتفق عليه مع كل من بابك والأفشين للقضاء على الدولة العباسية، وكان على الأفشين بموجب هذا الاتفاق قتل الخليفة المعتصم وأبناءه وهناك معلومات عن كراهية الأفشين للعرب وتحيزه للعجم ونسب إليه أنه كان يقول إذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبوس، وكان

أصحابه وأهل ولايته (بلدته) من الفرس إذا بعثوا له رسالة إليه باسم ((إلى أله الآلهة)) وهو لقب كان يفضله الأفشين، كما أن هناك معلومات عن مراسلات بينه وبين المازيار وبابك إذ كان المازيار يرسل الكتب لبابك ويعده بالنصر، ورغم هذه الوقائع إلا أننا نعتقد أن ما ذكره بعض المؤرخين عن رغبة هؤلاء في إسقاط دولة العباسيين أمر مبالغ فيه، لأن ليس لديهم تلك الإمكانات المادية والمعنوية ما يمكنهم من تنفيذ مخططهم ، كذلك فأن الخلافة كانت حتى هذه الفترة لا تزال قوية رغم كل ما مر من أزمات ومشاكل ، وفي اعتقادي أن هؤلاء كانوا يتطلعون فقط إلى الاستقلال بأنفسهم كل في منطقة كما هو الحال مع بعض حكام الأقاليم ولسر التي تمكنت من إقامة كيان لها.

وعلى العموم أرسل المازيار إلى الخليفة المعتصم حيث اعترف ثانية بجريمته أمام الخليفة الذي أمر بدوره بإلقاء القبض على الأفشين وتم إعدامهما وفي راوية أخرى يذكر الكرديزي أن المعتصم حكم على المازيار خمسمائة جلدة فمات في نفس اليوم وعادت طبرستان إلى أحضان حكم الامارة الطاهرية التي قامت بمجهودات واضحة في مجال الفتح والتوسع في بلاد الغز حيث فتحوا أماكن لم يبلغها أحداً قبلهم .

أما عن الوضع في بلاد ما وراء النهر فإن طاهر بن الحسين قد اسند أدارتها إلى أبناء الأسرة السامانة بالاتفاق مع الخليفة حيث أعطى نوح بن اسد منطقة سمرقند ثم تولى عليها نصر بن أحمد بن أسد وظلت بلاد ما وراء النهر تابعة للطاهريين حتى فصلها من الطاهريين ، ويبدو أن مشاكل الطاهريين في خراسان لم تجعلهم دائمي الاهتمام والمراقبة لهذا الإقليم بالإضافة إلى أن الأسرة الطاهرية أخذ يتسرب إليها الضعف فأرادت الخلافة أن تقيم أسرة قوية في تلك المنطقة لتتخذ منها خط وجهة ضد أي اعتداء على ممتلكات الخلافة في تلك المنطقة خاصة فأن الصفاريين كانوا قد بدأوا في تكوين إمارة لهم في سجستان.

قبل أن نتم حديثنا عن نشاط الطاهريين لا بد وان نقر بأنهم قد تحملوا مسئولياتهم أيضاً في الدفاع عن المشرق الإسلامي وخاصة في منطقة ثغر السند الذي كان عرضة لهجمات كان يشنها الأمراء الهنود كلما أتيحت لهم الفرصة ولكن عندما ضعفت الدولة الطاهرية تولى الصفاريون أمر الدفاع عن هذه المنطقة .

نظام الحكم والادارة في الامارة الطاهرية

ضمت الدولة الطاهرية مساحات شاسعة من الأراضي، فالى جانب خراسان شملت بلاد ما وراء النهر واذربيجان وجرجان وطبرستان واقليم الجبال (عراق العجم) وفارس وكرمان وسجستان والاهواز، وكان حكم هذه الدولة وراثياً في ابناء الاسرة، وكان دور الخليفة في هذا الأمر قاصراً على ارسال تقليد الولاية مع خلعة وهدية وظل الأمر قائماً. على هذا النحو حتى نهاية الدولة.

اتخذ الطاهريون من مدينة نيسابور عاصمة لهم التي تركزت فيها المؤسسات والادارات الحكومية محلقة حول دار الامارة التي كانت سابقاً في مرو. وكان يعاون الامير الطاهري في ادارة دولته مجموعة من كبار الموظفين من ذوي الخبرة والكفاءة، ومن أبرزهم رئيس الحرس والحاجب وصاحب ديوان الخراج وصاحب ديوان الترقيع والخاتم والبريد، ومن الطبيعي أن يعاون كل موظف من هؤلاء مجموعة من الموظفين الآخرين الذين كانوا يتحملون مسئولية ادارة الاجهزة المختلفة، وكانت هناك وظائف أخرى يشغلها موظفون لهم مكانة مرموقة ولاسيما سلك القضاء والحسبة الى غير ذلك. وكغيرها من الدول ضمت الدولة الطاهرية مجموعة من الاقاليم على رأس كل اقليم حاكم أو موظف يتبع مباشرة الامير الطاهري في العاصمة، وقد اعتاد الطاهريون على تولية عمال من أقاربهم أو ممن يثقون في ولائهم واخلاصهم، فها هو طاهر بن الحسين يقول في هذه القضية : «لا تستعين

بأحد في خاص عملك إلا من ترى أن نعمته تزول بزوالها وتدوم بدوامها لك، ورغم ذلك فقد كان حكام الدولة يحاسبون عمالهم ويتقصون أخبارهم ويحثونهم على اقامة العدل ونشر الأمن والطمأنينة في ربوع البلاد، والدفاع عن أقاليمهم حيث كانت الدولة تحتفظ بجيش ضخم في نيسابور يخضع لقيادة الامير الطاهري الذي كان يقود الحملات العسكرية الى مختلف الميادين. ولابد أن نشير هنا الى أن أمراء الدولة كانوا يتشاورون مع الخلافة في بعض أمورهم ولاسيما تولية ولاة الاقاليم أو عمال المناطق، كما سبق وأن اشرنا الى تعيين ابناء الاسرة السامانية في بلاد ماوراء النهر كنواب عن الطاهريين، كذلك استأذن الطاهريون الخلافة عندما تحركت قواتهم ضد المازيار بن قارن والي طبرستان كما أشرنا، ولايفوتنا هنا أن تذكر أن أقاليم ومناطق الدولة كانت ترسل بخراجها السنوي الى خزانة الدولة في نيسابور وهذه بدورها كانت ترسل أموالاً سنوية الى بغداد تعبيراً عن حسن العلاقة والمودة التي تربط بين الاسرة الطاهرية والخلافة في بغداد.

سقوط الامارة الطاهرية:

البعض الآخر لتكون معاول هدم واضعاف لهذه الدولة التي عاشت فترة قوة وازدهار، وما لبثت أن ضعفت بسبب تلك العوامل التي يتقدمها ضعف الخلافة العباسية، فقد رأينا من دراستنا السابقة أن العلاقات بين الاسرتين كانت وثيقة وقوية، فقد تعاون الطرفان في اخماد ثورة بابك الخرمي في اذربيجان وكذلك ثورة المازيار بن قارن في طبرستان، وهذه المناطق كانت تابعة للاسرة الطاهرية، ولكن عندما ضعفت الخلافة لم يعد بامكانها دعم الطاهريين وارسال المدد اليهم عندما بدأ الاعداء يهددون ممتلكاتهم وكان أخطر هؤلاء الاعداء الحركة الصفارية التي أسقطت الدولة الطاهرية في نهاية المطاف. كذلك أصاب الضعف الدولة الطاهرية عندما تسرب مرض الانقسام بين افراد الاسرة الحاكمة، وانصرف بعض رجالاتها الى اللهو والعبث، وهنا يذكر كرديزي «أن ابناء عم محمد بن

طاهر – آخر امراء الاسرة في خراسان – هم الذين وجهوا الدعوة الى يعقوب بن ليث الصفار للاستيلاء على مدن خراسان، وكان الذي دفعهم الى هذا الصنيع حقدهم وحسدهم لمحمد بن طاهر.

ويذكر ايضاً أن محمد بن طاهر ترك أمور الدولة الى عماله وأعوانه وانصرف هو لأموره الخاصة مما مهد الطريق لأعداء الدولة من صفاريين وزيديين وغيرهم لاقتطاع اجزاء كبيرة من ممتلكات الدولة(١٠٠) التي إنهارت فيما بعد .

كذلك انتقل الفساد من عاصمة الدولة الى الولايات الاخرى التابعة لها واستشرى هناك بشكل سافر وكان أوضح ما يكون في منطقة طبرستان حيث ترك الطاهريون الحكم لنوابهم الذين شددوا على الرعية واتسع ظلمهم وتعسفهم الامر الذي أدى الى تنمر الأهالي ودفعهم الى تأييد حركة الحسن بن زيد الذي استغل ظروف الأمالي" وتذمرهم ولم تكن ظروف بقية الولايات بأحسن حال من طبرستان.

ولقد أدت الأوضاع السابقة الى خلخلة الاوضاع الاقتصادية واضعافها، فانشغل الناس عن أعمالهم بأمور الفتنة والفساد، وتركوا أرضهم بسبب الظلم المالي الذي كان يقع عليهم، فتراجعت الزراعة وتوقفت حركة الانتاج وقلت المدخولات العامة للأفراد والدولة، ونفس الشيء يقال عن الصناعة التي أهملت وأخذت طريقها نحو الانحطاط، فقائض الانتاج لم يعد يصدر بسبب الظروف العامة فهجرت المصانع وتوقفت في معظم الأحيان، وقد انعكس كل هذا على التجارة التي كسدت وضعفت حركة البيع والشراء في الأسواق المحلية وأهملت الطرق التي لم تعد أمنة كما كانت في الأيام السابقة.